مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وأنذر بكتابه الواضح الحكيم، وأرسل رُسله مبلغين ومبيّنين للدين القويم، وخلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض، وميّزه بالعقل عن سائر الخلق، يجوب البر والبحر، ويُقيّم بتأمله الأشياء والأفكار، فيأخذ بالصالح؛ ليحصّل ثمرته، ويترك الرديء؛ ليتوخى عواقبه.

قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [سورة الرحمن: ٣، ٤]. وفي ذلك دلالة على أن الله أعطى الإنسان قدرات عقلية تميزه ومنها النطق. فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [سورة المؤمنون:١٤]. وفي هذا دليل على أن الله مكّن الإنسان وصوره فأحسن خلقه في المظهر،والمخبر، والحواس، والتراكيب الدقيقة.

كما قال جل في علاه: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [سورة الإسراء:٧٠]. وهذا برهان على أن الله جعل للإنسان تمكيناً وتفضيلاً على كثير من المخلوقات.

وبالنظر إلى العقل كمصدر لتفسير رسالة الله الخالدة؛ يمكن وصفه باعتبارات من حيث: اعتبار الخطورة من الجانب العقدي المخالف للنص الغيبي المتعالي عن الاحتمالات ونحوه بوضع شروط تفسيرها، والنظر لقراءة النص المعاصر وتصنيف مقام وقداسة قراءة العقل للقرآن من بينها، وملاءمة النوازل في الدين والشرع والبحث في القرآن عن جوابها وفاعليتها في الحياة، ومراعاة تنوع قوالب النص مع تطورات الزمان وتحكيم العقل في دراسة حكمها وتعيين حدود التعامل معها، وغير ذلك.

وإن تفسير القرآن عبادة من أعظم العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله، وكما أن العبادة لا تكون بمجرد الهوى، فإن التفسير يحرم فيه اتباع الهوى وله ضوابط وآداب ومنهج يعصم العقل عن الانحراف في فهمه، حيث لا يصح أن يكون التفسير قياساً أو استنباطاً على محض العقل، وقد أشار القرآن إلى الموانع التي تحجب عن تحصيل الفهم السديد لآياته، ووضح مفسدات العقل والاعتقاد، وسُبل التزود في الدين والعلم السليم، وعوامل الوصول إلى التمكّن والحذاقة في التفسير.

فغذاء العقل أنواع منه: الغذاء الإيماني؛ وهو أهم نوع، والذي يحتاج إلى تسديد وجهته إلى مسلك أهل السنة، ومن الأنواع أيضاً: الغذاء العلمي؛ وهذا النوع لا شك أنه بحاجة إلى أن يضبط

المفسر فيه منهجه بشكل رصين، والنوع الأخير وهو الغذاء المهاري؛ وهو محاولة إكساب العقل أكبر قدر من الذكاء والفطنة والتطور في القياس والاستنباط والبحث والإبداع بشتى مجالاته القديمة والمستحدثة.

ويمكن تصنيف إعمال العقل في التفسير باعتبار حُسن التأويل إلى شقين؛ فمنها تأويلات محمودة ومنها مذمومة، وباعتبار مصداقية الخبر إلى نوعين؛ فمنها دلالة قطعية ومنها ضنية، وكذلك باعتبار مصدرية الخبر؛ فمنها أدلة نقلية ومنها عقلية، وأما باعتبار الفرق والملل في التفسير؛ فمنهم طوائف مخالفة ومنهم غير مخالفة، وغير ذلك من الاعتبارات.

ولأجل ذلك وقع الاختيار في موضوع البحث للمشاركة في (مؤتمر الدراسات الحديثة في تفسير النص القرآني-كرسي القرعاوي للقرآن وعلومه بجامعة القصيم) في محور (دور العقل في تفسير النص القرآني والانحرافات الناتجة عنه) وذلك لأهمية دراسة دور العقل في تفسير القرآن، حيث إن للتفسير العقلي للقرآن في العصر الحاضر خوض وتوسع كبير زاد في حاجة تفعيل الدراسات القرآنية حول بيان حكمها، وحدودها، وتحليل مستجدات نتائجها، ومعرفة شروطها وضوابطها وأنواعها وغير ذلك.

سائلين المولى جل جلاله التوفيق والسداد.

- **أهمية الموضوع :**

١-التعريف بالعقل وحث القرآن الكريم على إعماله والفرق بين التفسير والتأويل.

٢-الوقوف على التأويل المحمود والمذموم.

٣-بيان عدم تعارض العقل مع النقل.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

١-إثراء المباحث بالمعلومات من واقع خبرات التدريس في مجال التفسير.

٢-وفرة المراجع حول الموضوع ووضوح معالمه وملامحه.

٣-حاجة المكتبة العلمية لدراسة حكم التفسير العقلي بعد التوسع المعاصر في أوساط النشر ووسائل التواصل الإلكتروني.

- **الدراسات السابقة:**

هناك دراسات كثيرة ومقالات حول عناوين العقل في القرآن الكريم، ومصطلح التفسير بالرأي أو التفسير العقلي، ودراسة الطوائف والفِرق بأنواعها، ونوع تأويلهم للقرآن وتفاسيرهم، وذلك على شكل مقالات، وكتب، وبحوث، ورسائل، ومن أبرز الرسائل الجامعية المتعلقة بالموضوع ما يأتي:

١-عناية القرآن بالعقل دراسة موضوعية، ناصر عبد الغفور،رسالة ماجستير، ١٤٣٨هـ، جامعة المدينة العالمية.

وفيه بيّن تعريفات للقرآن والعقل، ثم عرض باب في ورود العقل في القرآن، ثم بيَّن مكانة العقل في القرآن الكريم، ثم وضح نفي تعارض العقل مع النقل.

٢- العقل في القرآن دراسة موضوعية، ماجد الشاعر، رسالة ماجستير، جامعة القصيم ١٤٤٠ هجرية.

وفيه بيّن تعريفات العقل وصيغ وروده وعلاقته بالقلب وموقف الاسلام منه، ثم عرض أساليب حث القرآن على إعمال العقل، ثم وضح صفات أهل العقول في القرآن، ثم بيّن معالجة القرآن لإهمال العقل، أخيراً ذكر آثار إعمال العقل وإهماله.

٣- التأويل البدعي عند مفسري المدرسة العقلية الحديثة دراسة نقدية، محمود المالوخ، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، ١٤٤٠هـ.

وفيه بيّن ضوابط التأويل المقبول وضوابط الحكم ببدعية التأويل، ثم عرض التأويل البدعي في تفسير آيات العقيدة عند مفسري المدرسة العقلية الحديثة، ثم الآيات المتعلقة بالإنسان، ثم آيات الأحكام، وأخيراً آيات القصص عند مفسري المدرسة العقلية الحديثة.

٤-منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ.

وفيه تحدث عن رجال المدرسة العقلية، ثم بيّن منهجها، ثم عرض آراءها في علوم القرآن، ثم آراءها في بعض قضايا القرآن، ثم ذكر نماذج من تأويلهم لآيات من القرآن مخالفين بذلك منهج السلف.

- **أهداف البحث:**

١-الوصول إلى حكم إعمال العقل في التفسير.

٢-دراسة إشكال تعارض العقل مع النقل.

٣-الاهتمام بدراسة دور العقل في التفسير.

- **منهج البحث:**

اتبع البحث المنهج الوصفي والتحليلي من جمع المعلومات المطلوبة من المراجع المختصة ودراستها والخروج بنتائج منها.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

- المقدمة.

- **المبحث الأول**: تعريف العقل والتفسير ومكانة العقل في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العقل.

المطلب الثاني: تعريف التفسير والتأويل.

المطلب الثالث: احتفاء القرآن الكريم بالعقل والتفكير.

- **المبحث الثاني**: دراسات تطبيقية حول إعمال العقل في التفسير.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأويل المحمود والمذموم.

المطلب الثاني: تعارض العقل مع النقل.

- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: تعريف العقل والتفسير ومكانة العقل في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف العقل.

العقل هو الأداة التي يميز فيها الإنسان للأشياء حتى يقتحم بذكائه مصاعب الحياة ويبني طرق وسُبل ومنهجية العيش بأمان دنيوي وأخروي مؤبد، وذلك بخلاف الحيوان حيث امتاز عنه الإنسان بتلك الميزة حتى زاد تمكينه وعمارته للأرض، وقد تكرر ورود العقل ونعمة الإدراك في القرآن.

وأما عن معنى العقل في كتب اللغة فهو: الحجر والنهى، ونقيضه الجهل[1].

وأما تعريف العقل اصطلاحاً فوروده كثير ومن ذلك في كتاب المحاسبي قال: "هو غريزة وضعها الله في أكثر خلقه، لم يُطلع عليها العباد بعضهم من بعض، ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية، ولا حس، ولا ذوق، ولا طعم؛ إنما عرّفهم الله – سبحانه وتعالى– إياه بالعقل منه؛ فبذلك العقل عرفوه، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم، بمعرفة ما ينفعهم، ومعرفة ما يضرهم"[2].

وذكر ابن تيمية في مكانة العقل: "العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلاً بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أمور حيوانية.." [3].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٦٩). لسان العرب، ابن منظور (٤٥٨/١١) .

(٢) العقل وفهم القرآن، الحارث المحاسبي، (ص ٢٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٣/ ٣٣٨).

المطلب الثاني: تعريف التفسير والتأويل

أطال الباحثون في مسألة التفسير والتأويل ودراسة الفرق بينهما، وقبل الشروع في التفريق بينهما يمكن وضع تعريفهما لغة واصطلاحا.

- **تعريف التفسير:**

التفسيرلغة: الفسر يدل على بيان الشيء وإيضاحه وإبانته وكشفه[1].

التفسير اصطلاحاً: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[2].

والتعريف الموجز للتفسير هو البيان لمعاني القرآن، فهو يصلح للجانب المعنوي كما يصلح للجانب الحسي، وللتفسير تعريفات كثيرة وصفية بحسب المناهج المختلفة، فمنذ عهد الصحابة كان التفسير على قدر الحاجة، ثم توسعت في العصر الحاضر بمجالات التفسير وتنوعت أقسامه الاصطلاحية[3].

- **تعريف التأويل:**

التأويل لغة: من آل يأول أي العودة والرد والإرجاع وبيان العاقبة والمآل[4].

التأويل اصطلاحاً: هو اللفظ الأسبق استعمالاً فقد تكرر استخدام الإمام الطبري له في مصنفه حتى أنه جعله في العنوان، كذا قال ابن عباس أنا من يعلم "تأويله"، ولفظ التأويل ورد لثلاثة معان:

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٥٠٤). لسان العرب، ابن منظور، (٥/ ٥٥)، تاج العروس، الزبيدي (١٣ /٣٢٣)

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني(٢ /٣)

(٣) انظر: معجم مصطلحات علوم القرآن، محمد عبدالرحمن الشايع، ص٥٣. وللاستزادة يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي(١/ ١٣)، التفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ١٢)، نفحات من علوم القرآن، محمد معبد (ص١٢٢)، نقد الصحابة والتابعين للتفسير، عبدالسلام الجار الله، (ص٢٦)، معجم علوم القرآن ، الجرمي (ص ٩٨)، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص١٥٠)

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(١ /١٥٨)

-**الأول**: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهـذا هـو اصطلاح أكثر المتأخرين، فإن كان الدليل يقترن بكلام قُبل، وإلا رُدّ وكان باطناً باطلاً وكلامه عابثاً.

-**الثاني**: التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه، وهذا هو المعنى الذي يطلقه المتقدمين، "قال أهل التأويل: أي أهل التفسير".

-**الثالث**: التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفسه ما يكون في اليوم الآخر[1].

- **الفرق بين التفسير والتأويل:**

إن كلا من اللفظين ورد على لسان المفسرين في كتبهم، ولكن يتضح من مجمل تعاريف التفسير أنها مختصة بالواضحات، وأما زبدة الفروق التي ذكرها الأئمة في التأويل أنه متعلق بالمحتملات وهو ما رجحه الآلوسي في تفسيره[2] واختاره الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة في كتابه دراسات في منـاهج المفسرين[3]. ومن الأقوال في وجه الاختلاف بين المصطلحين:

-أن التفسير أعم من التأويل؛ وهذا باعتبار تعاريف المتأخرين.

-وقيل إن معناهما واحد؛ وهذا باعتبار تعاريف المتقدمين.

-وقيل إن أكثر استعمال التفسير في الألفاظ، ظاهراً، وأما التأويل ففي المعاني.

-وقيل التفسير فيما يتعلق بالرواية، والتأويل فيما يتعلق بالدراية؛ لأن التفسـير كشـف بالنقـل الصحيح، والتأويل ترجيح واجتهاد.

---

(١) معجم مصطلحات علوم القرآن، محمد الشايع، (ص٣٥). وللاستزادة ينظر: معجم علوم القرآن، الجرمي (ص٧٨)، علوم القران، نور الدين عتر،(ص٧٤).

(٢) روح المعاني، الآلوسي(١/ ٥ ــ ٦).

(٣) دراسات في مناهج المفسرين، أ د إبراهيم خليفة (١٨ ــ ٢٥).

-وقيل التفسير هو: فهم الألفاظ وبيان معانيها وإظهار دلالاتها، والتأويل هو: إزالة ما فيها من غموض أو إشكال.

-وقيل إن التفسير هو القطع في بيان المراد،وأما التأويل هو أن يكون المعنى المتبادر من الذهن بغير قطع أو جزم به

-وقيل التفسير: بيان ألفاظ القرآن التي لا تحتمل إلا معنى واحدا، والتأويل: توجيه لألفاظ القرآن التي تحتمل عدة معان[1].

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/ ١٤٩).نفحات من علوم القرآن، محمد معبد، (ص/ ١٢٢). التفسير والتأويل، صلاح الخالدي (ص٣٣). مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد الطيار(ص٩٢).

المطلب الثالث: احتفاء القرآن الكريم بالعقل والتفكير

خص الله أهل العقول المفكرة والمتأملة وأثنى عليهم في كتابه بأنه أعرف الناس بمقاصد العبادة، حيث وردت تسميتهم بـــ (أولوا الألباب، وأولي النهى، وذي حجر، وأهل الذكر، والذين أوتوا العلم)، وكرَّم الله العقل وجعله مناط التكليف فلا حرج ولا إثم على المجنون غير العاقل، كما رفض الدين تعاطي كل ما يضر العقل ويشوش الذهن بالخرافات غير المعقولة وغير المنطقية من نواقض وما يخالف مسلمات الدين، وأتاح الإسلام للعقل أن يتأمل ويتفكر، بل وأمر بذلك واستنكر إخضاع العقل إلى ما أعتاده وتوارثه الآباء والأولين من تفكير ومنهج، وأشار إليه في جميع سور الكتاب الحكيم من بيان لخلق السماوات والأرض والكون[1]..

ومن الآيات المتعلقة بإعمال العقل في القرآن الكريم:

قول الله تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾[سورة الغاشية: ١٧]

وفي الآية يحث الله تعالى الإنسان على التفكر في عجيب خلقه للجمل، فكيف هيأه له أن يعيش في صحراء قاحلة فتصبر على العطش، وخصها بالذكر لعروبة المخاطبين، ولما فيها من قوة، ومع ذلك تنقاد لكل ضعيف، فسخرها الله مركوبة للترحال وحمل أثقال السفر، والاستفادة منـــها في المطعـــم والمشرب[2]..

وفي قول الله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾[طه: ١٢٨].

وفي الآية حث على التفكر في الأمم السابقة التي ظلمت نفسها بمعصية الله فهلكت بعقوبة مـــن الله، ففي ذلك عظة وعبرة أفلم يتبين لقومك يا رسول الله؟ كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشـــون في مساكنهم ومنازلهم آمنين، إن في هلاكهم لآيات وعبرات لذوي العقول من الناس[3].

وقول الله تعالى:﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الجاثية: ٥]

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية، علي بادحدح ومحمد باجابر، (ص٢٦٧)، الوحي والعقل بحث في إشكالية تعارض العقل والنقل، لؤي صافي، (ص ٥٤).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٤/ ٤٧٧). ولا زال العلم الحديث يكتشف الكثير في بديع خلق الله للإبل ومنافع مشاربها ومطاعمها حتى لُعابها في قتل الميكروبات. انظر: التفسير العلمي المعاصر، سليمان القرعاوي (ص٢٣٢)

(٣) انظر: بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي (٢/ ٤١٦)

يحث الله الإنسان إلى النظر للسماء كيف يأتي النور ثم الظلام ويترل منها المطر وينبت به الزرع وتروي الأرض اليابسة، والمنافع في هبوب الرياح من كل اتجاه وغير ذلك كلها آيات كونية يفهم منها العاقل بأن هناك خالقاً وقادراً وعظيماً في حكمه وتدبيره[1].

وفي قول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الروم: ٨].

يبين الله جل وعلا أن الإنسان سيموت وسيُبعث بعد موته، ويحث من لم يؤمنوا بذلك إلى أن يتفكروا في أنفسهم وذواتهم، فإن كانوا غافلين عن الآخرة مستنكرين حقيقتها، فليروا مصير أنفسهم فكيف لهم أن يغفلوا عن الموت ويغفلوا عن عظمة خلق الله لأجسادهم فالعاقل هو من يصل إلى أن القادر على خلق الإنسان قادر على إماتته وإحياءه مرة أخرى، كما أن القادر على خلق النفوس والكون والسموات والأرض قادر على البعث والنشور[2].

إذاً فالعقل يُعتمد عليه في التفسير، ومع تمييز الله للإنسان بالعقل إلا أنه لا يستطيع أن يتجاوز حدود ما مكنه الله من الإحاطة به مما حوله، فهناك أمور يراها الإنسان وهي في الحقيقة لها تفسير أبعد مما يتصور، وهناك كثير من الأمور التي أخبرنا بها الشرع لو أرجعناها إلى مقياس عقولنا ابتداءاً لم ولن نصل إليها بمحض التأمل ولو بلغ ذلك سنين إلا بإخبار الوحي لنا، الذي فيه الإجابة على كل أسئلتنا، ولذلك فبلوغ الإنسان للعلم الواسع هو بالتمسك بكلام الله الذي خلقنا وهو الأعلم بمصالح خلقه سبحانه[3].قال الله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٣]وقال الله تعالى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: ١٤].

---

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٤/ ١٢٢). وظائف العقل في القرآن، د.عبدالحكيم الأنيس (ص٤١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/ ٥٢).

(٣) انظر: الثقافة الإسلامية، علي بادحدح، ومحمد باجابر،(ص٢٧٠).التفسير بالرأي وموقف العلماء من اتخاذه منهجاً في التفسير، احمد فريد، الجامعة الاردنية، ١٤١٤هـ (ص٣٧١)

المبحث الثاني: دراسات تطبيقية حول إعمال العقل في التفسير

المطلب الأول: التأويل المحمود والمذموم.

ظهر في الآونة الأخيرة توسع في تفسير القرآن حتى تنوعت المجالات وانقسمت ساحة التفسير باعتبار سلامة المنهجية إلى شقين، فمنه تأويل للقرآن محمود، ومنه تأويل مذموم للآيات.

وأما تعريف التأويل المحمود فهو: صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط[١].

وأما التأويل المذموم الفاسد، فهو: الذي يتم فيه صرف اللفظ إلى معنى لا يحتمله، فلا ضرورة إليه، ولا دليل عليه[٢].

فالتأويل المذموم هو مخالفة ضوابط التأويل المقبول وهي: ألّا يخالف صحيح السنة، أو لغة العرب في عهد الصحابة، وتجنب الشاذ والضعيف منها، ومراعاة السياق. فأي مخالفة لهذه الضوابط سيقع فيها التفسير في التأويل البدعي المذموم، وعليه فيلزم تأهل المفسر في علوم القرآن، والحديث، والسيرة، واللغة، للكشف عن معاني آيات القرآن الحكيم[٣].

إذاً فالتأويل العقلي جائز، مالم يخرج فيه المفسر عن شروط التأويل القبول، وخاصة الشرط المتعلق باللغة؛ لارتباطه بالألفاظ ودلالة معانيها؛ وذلك لأن الألفاظ يقع فيها اشتراك، فقد تحوي الكلمة أكثر من معنى، وقد تتكرر الكلمة فتختلف الصورة ويتفق المعنى، وغير ذلك من دواعي وقوع الوهم[٤].

فإن التسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وغيرها؛ موقع في الخطأ، فمن لم يحكّم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ١٥٠).

(٢) انظر: التفسير والتأويل في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي(١/ ١٩٩).

(٣) انظر: التأويل البدعي عند مفسري المدرسة العقلية الحديثة دراسة نقدية، محمود نوفل، (ص٦٤، ٩٠).

(٤) انظر: دلالات النص القرآني عند المفسرين بالرأي دراسة تحليلية، حمزة حسن سليمان صالح،(ص٣٦)علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي،(١/ ٨١).ومن الأئمة من منع التفسير بالرأي استناداً إلى أحاديث التورع عن التحدث في كلام الله بغير علم. انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة (ص ٧٨). ومنهم من يرى أن تأويلات الصحابة لا تعتبر تفسير بالرأي بل هي من قبيل التفسير بالمأثور أو المرفوع؛ لأن اجتهادهم متولد عن نقل لم يتلقوا نهي من الرسول عليه. انظر: التفسير بالرأي،مساعد آل جعفر(ص٨).

فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من قال برأيه المذموم[1].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: "فإن النبي -ﷺ- قد يتكلم بكلام من كلام العرب يستعمله في معنى هو أخص من استعمال العرب أو أعم منه، ويتلقى ذلك عنه حملة شريعته من الصحابة، ثم يتلقاه عنهم التابعون، ويتلقاه عنهم أئمة العلماء؛ فلا يجوز تفسير ما ورد في الحديث المرفوع إلا بما قاله هؤلاء أئمة العلماء الذين تلقوا العلم عمن قبلهم، ولا يجوز الإعراض عن ذلك والاعتماد على تفسير من يفسر ذلك اللفظ بمجرد ما يفهمه من لغة العرب، وهذا أمر مهم جداً، ومن أهمله وقع في تحريف كثير من نصوص السنة، وحملها على غير محملها"[2].

وهذا موجز الفرق وفيما يأتي عرض لأبرز الطوائف المخالف وتعريف بالمحسنين في التفسير.

- أولاً: تأويلات الطوائف المخالفة في العقيدة.

أ-تفاسير الشيعة الرافضة:

أصل عقيدة الشيعة هو أنهم في الأصل، هم من شايعوا علياً وأهل بيته ووالوهم، وقالوا: إن علياً هو الإمام بعد رسول الله ــ ﷺ ــ، وإن الخلافة حق له، استحقها بوصية من رسول الله ــ ﷺ ــ، وهي لا تخرج عنه في حياته، ولا عن أبنائه بعد وفاته[3].

ومن أهم كتب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية : (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار لعبداللطيف الكازراني، تفسير الحسن العسكري، مجمع البيان للطبرسي، الصافي لـ الكاشي، تفسير عبد الله العلوي، بيان السعادة لـ الخرساني) [4].

ومن أمثلة ذلك: في كتاب التفسير للسيد عبدالله العلوي يقول في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾[سورة المائدة:٥٥]. يرى أنها نزلت في عَلِيّ ــرضي الله عنه ــ، حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فأومأ إليه بخنصره فأخذ

(١) انظر: التفسير بالرأي مفهومه وحكمه وأنواعه، مساعد الطيار (ص٢٦).

(٢) فتح الباري، ابن رجب (٢/ ٣٩٩). انظر: الجامع في علوم القرآن، حمد العثمان (٢/ ١٠٨٨).

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (٤/ ١٢٥).

(٤) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (٤/ ١٤٥ - ٢١٩).

خاتمه منه، وأن الآية تدل على إمامته دون سواه للحصر، وعدم اتصاف غيره بهذه الصفات[1].

ب-تفاسير الخوارج والمعتزلة:

الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ؛ لرفضهم التحكيم بعد أن عرضوه عليهم. وقد عرف الخوارج على مدى تاريخهم بالمغالاة في الدين وبالتكفير والتطرف[2].

والمعتزلة هم المنتسبين لـ واصل بن عطاء الغزَّال، وأصولهم خمسة وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فلا يرون برؤية الله يوم القيامة، وأن صفاته ليست إلا ذاته، وأن القرآن مخلوق، وأن الله لم يشأ جميع الكائنات إلا ما أراد شرعاً، ولا خلقها ولا هو قادر عليها، حتى أفعال العباد، لا خيرها ولا شرها، وأن الله لا يغفر لمرتكب الكبيرة فهو مخلد في النار، وأن الأمر بالمعروف يصل للسيف بعد تدرج النصح وهذا حق لكل فرد لا يتفرد به الرؤساء، وغير ذلك من المعتقدات التي يحملون ألفاظ القرآن عليها دون مرجعية صحيحة من أقوال السلف أو الصحابة أو التابعين[3].

ومن أهم كتب التفسير الاعتزالي: (تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، أمالي الشريف المرتضى غرر الفوائد، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري)[4].

ومن أمثلة ذلك: ما ذهب إليه الزمخشري، وهو من رؤوس المعتزلة، في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]. إلى أن النظر في الآية معناه التوقع والرجاء، فهو من قبيل قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء، وعلى هذا فمعنى الآية أنهم لا يتوقعون النسمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه. والناظر في تأويلات المعتزلة لهذه الآية يرى أنهم قد صرفوا لفظ (ناظرة) عن احتمال أن يراد منها معنى رؤية عين المؤمن إلى الله في اليوم الآخر[5].

---

(١) انظر: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن، محمد حسين الذهبي (ص١٧٦).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (٤/ ٢٧٥).

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (٤/ ٨٢)، الجامع في علوم القرآن، حمد العثمان (ص ١٠٩٠).

(٤) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (٤/ ٨٩- ١٠٣).

(٥) انظر: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن، محمد حسين الذهبي (ص١٧٢).

ج-**تفاسير الفرق الباطنية:**

من الفرق الباطنية هم (الإسماعيلية) الذين ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وسبب تلقيبهم بالباطنية؛ لأنهم يقولون بباطن القرآن دون ظاهره، فالإسماعيلية لهم سبعة ألقاب:(الإسماعيلية، الباطنية، القرامطة، الحرمية، السبعية، البابكية الخرمية، المحمرة)[1].فـ غلاة الباطنية طائفة تؤمن بالحلول وَوِحدة الوجود،وهي مزاعم لا تتفق مع الشرع[2].

ومن أهم تفاسيرهم: (تفسير التستري، حقائق التفسير لـ السلمي، وعرائس البيان لـ الشيرازي، التأويلات النجمية لـ نجم الدين داية، تفسير ابن العربي الحاتمي الصوفي).

ومن أمثلة ذلك: قول ابن عربي الحاتمي في سورة النساء عند قوله تعالى في الآية : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾[سورة النساء:٨٠] ... يقول "لأنه لا ينطق إلا عن الله، بل لا ينطق إلا بالله، بل لا ينطق إلا الله منه فإنه صورتُه"[3].

- **ثانياً: تأويلات السلف وأهل السنة والجماعة.**

المعتمد في منهج التفسير عند أهل السنة والجماعة هو تأويلات السلف أي المنقول عن الرسول -ﷺ- وصحابته والتابعين الذي شرّفهم القرآن وأعلى مكانتهم، وذلك يشمل نقلهم واجتهادهم مع اعتبار درجة حجية الراوي ، وكون المنقول عن فرد آحاد أو جماعة بتواتر جمهور اتفقوا أو اختلفوا وعليه يتم إعمال الجمع أو الدراسة والترجيح، وإن كانت الدلالة اللغوية واضحة، إلا أن هناك حاجة بلا شك إلى ما جاء به الوحي المبيِّن للقرآن، خاصة في الغيبيات[4].

ومن خصائص تفسير السلف: قربهم للعصر النبوي، فهُم أقرب إلى فِهم القرآن، ومعايشتهم لأحداث نزول الآيات، وهذا أضبط في فهم القرائن وإدراك المعاني، ومعرفتهم للسان العربي الفصيح الذي نزل القرآن به، فهُم أقدر على تحليل ألفاظ القرآن ومعانيه، وخلو عصرهم من كثرة الانحرافات العقدية، وهذا يكسب المصدر أماناً وأكثر سلامة لخيرية البيئة ومنشؤها وقلة الخطأ فيها وحجية

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (٤/ ١٣١، ٢٣٦).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (٤/ ٣٠٢، ٣١٣).

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (٢/ ٣٠٥) الجامع في علوم القرآن، حمد العثمان (ص ١٢٣٧).

(٤) انظر: فهم السلف للقرآن في ضوء مستجدات العصر، محمد السواعدة، (ص٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٣)

أهلها[1].

وإن ضابط أهل السنة في قبول القول في التفسير هو بالرجوع إلى مصادره وذلك باعتبار علوم تفسير الآية وطبقة المفسر للآية، فالتفسير إما أن يكون بالنقل أو الاجتهاد، والنص القرآني منه ما يقبل الاجتهاد ومنه ما لا يقبل فيه الاجتهاد، ومصادر التفسير هي: القرآن والأحاديث واللغة، ومؤهلات المفسر هي: معرفة علوم القرآن وسلامة العقيدة والأخلاق[2].

ولا يعني اعتماد أهل السنة في تفسيرهم على أقوال السلف تأخرهم الحضاري والتزام النمط التقليدي في تفاعل الشريعة مع الحياة، بل أدرك علماء العصر وسائل تجديد قراءة النص القرآني والتوسع في الإحاطة والتدقيق بالنصوص والآثار ومواكبة الاكتشافات وحقائق التفسير العلمي وربط نوازل ومستجدات العلوم بأخبار القرآن التي زادت في وضوحها على مستوى استيعابها في الماضي وظهرت جلية للناس في أواخر الزمان متحولة من اعتماد ملامح اللغة إلى اعتماد مظاهر الكون، وليس القرآن مقصورا على زمان دون زمان بل هو منزل للعالم والأمة أجمعين[3].

ومن أمثلة منهج أهل السنة في التفسير ما نقله ابن تيمية: "قال ابن حنبل أبو عبدالله: (ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه، قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه، فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء. فنعبد الله بصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه) .قال: (فهو سميع بصير) بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته.وصفاته منه وله، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك.ولا تبلغه صفة الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام ونزول، وخلوه بعبده يوم القيامة، ووضعه كتفه عليه – هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل متكلماً عالماً غفوراً، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب.

فهذه صفات وصف الله بها نفسه، لا تدفع ولا ترد، وهو على العرش بلا حد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] كيف شاء، المشيئة إليه عز وجل، والاستطالة له، ليس

(١) انظر: طرائق السلف في التفسير أهميتها وخصائصها وأنواعها، عثمان المهدي، (ص٦٢ –٦٧)

(٢) انظر: تفسير السلف مصادره ومنهجه وحجيته، يحيى عبدالله احمد، (ص٥١١)

(٣) انظر: فهم السلف للقرآن في ضوء مستجدات العصر (ص ٣٨٢ ٣٦٨، ٣٨٢)

كمثله شيء، وهو خالق كل شيء، وهو كما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ولا تقدير، قول إبراهيم لأبيه، ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] فنثبت أن الله سميع بصير، صفاته منه، لا نتعدى القرآن والحديث، والخبر بضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، وبتثبيت القرآن، لا يصفه الواصفون، ولا يحده أحد، تعالى الله عما تقوله الجهمية والمشبهة"[1].

وقال الطبري في تفسيره قول الله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [سورة الأنعام:٥٩]. : "فتأويل الكلام إذًا: والله أعلم بالظالمين من خلقه، وما هم مستحقُّوه وما هو بهم صانع، فإنّ عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه، ولن يعلموه ولن يدركوه [1] ="ويعلم ما في البر والبحر"، يقول: وعنده علم ما لم يغب أيضًا عنكم، لأن ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين، يعلمه العباد. فكأن معنى الكلام: وعند الله علم ما غابَ عنكم، أيها الناس، مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثرَ بعلمه نفسَه، ويعلم أيضًا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعُكم، لا يخفى عليه شيء، لأنه لا شيءَ إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم. فأخبر الله تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان ويكون، وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب"[2].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[سورة الشورى:١١]. ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيء...والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء....وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ يقول جلّ ثناؤه واصفا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محصٍ صغيره وكبيره"[3].

---

(١) ذكره ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل(٢/ ٣١)

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (١١/ ٤٠٢).

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢١/ ٥٠٨).

المطلب الثاني: تعارض النقل مع العقل.

إن من أسباب التأويل المذموم؛ مصادمة الدليل العقلي بالدليل النقلي، وفي هذا الموضوع استثيرت المسألة واشتغل العلماء على قضية معالجة توهم تعارض العقل مع النقل منذ القدم، ومن أعظم الكتب التي ألفت في هذا الموضوع كتاب ابن تيمية (درء تعارض العقل مع النقل) حيث رد فيه على الأشاعرة الذين يقولون بوجوب تقديم العقل على النقل عند تعارضهما والذي انجرف إليه كثير من العلماء البارزين، كالرازي والغزالي وغيرهم، والذي كان منبع تلك الانحرافات هي أقوال الفلاسفة الكلاميين، ولا زالت قضية تعارض العقل مع النقل تشغل العلماء في العصر الحاضر(١)، ومع اجتياح ثقافة الغرب ازدادت تعقيدات القضية وتبعتها إشكالات فكرية أكثر خطورة(٢).

وكان ابن تيمية يكرر عدم رجحان تقديم العقل على النقل، فالعقل هو مدار التكليف والنقل هو وحي من الله، وأحكام العقل القطعية لا تتعارض مع أحكام النقل القطعية، وإن الحق هو في مرجعية العقل لتصديق النقل بعد ثبوته(٣).

وزبدة حديثه في تعارض النقل والعقل ورده على الرازي هو:

إما أن يراد بهما القطعيان، فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ.

وإما أن يراد بهما الظنيان، فالمقدم هو الراجح مطلقاً.

وإما أن يراد به أن أحدهما قطعي، فالقطعي هو المقدم مطلقاً، وإذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً. لا لكونه عقلياً.

فيُعلم من ذلك إن تقديم العقلي مطلقا خطأ كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ(٤).

قال ابن تيمية: "أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا

---

(١) ومن مصطلحات الموضوع وإطلاقاته: قضية تعارض المنقول مع المعقول، أو الدراية مع الرواية، أو الرأي مع الحديث، أو القياس مع النص، أو الظاهر مع التأويل، أو البرهان مع البيان، أو النظر مع العرفان، أو العقل مع الوحي، الظواهر العقلية مع القواطع النقلية، والتفسير بالرأي مع التفسير بالمأثور.

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة،عبد الرحمن المحمود، (١/ ٢٠٧)، الوحي والعقل بحث في إشكالية تعارض العقل والنقل، لؤي صافي، (ص ٥٢).

(٣) انظر: الوحي والعقل بحث في إشكالية تعارض العقل والنقل، لؤي صافي، (ص ٥٢)

(٤) انظر: الثقافة الإسلامية، علي بادحدح، ومحمد باجابر(ص ٢٧٢).

يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه"[1].وهذا يدل على أن عدم سلامة العقل في تحقق صدق مصدريته هو السبب الرئيسي في وقوع التعارض، وقال أيضاً في سياق كلامه: "وإذا كان هو الذي يدل عليه صريح المعقول فهو الذي يدل عليه صحيح المنقول"[2]، وفي ذلك دلالة على اعتماد قطعية وثبوت وصحة مصدر النقل حتى لا يتعارض مع العقل، وأن من أسباب وقوع التعارض هو عدم التفرقة بين العقل القطعي الصريح الدلالة و بين ما يسميه الناس معقولات أو دلالة عقلية.

كما قال الإمام الشافعي في مصدرية النقل للعقل: "ولا يجوز فيه عندي إلا هذا إلا أن يكون جاء على النبي – ﷺ – شيء فإني أتوهمه فيسقط كل شيء خالف أمر النبي – ﷺ – ولا يقوم معه رأي ولا قياس فإن الله عز وجل قطع العذر بقوله – ﷺ–"[3].

وقد يتصور ويُخيّل إلى المطلع على العلوم أنها على قسمين : علوم عقلية كالرياضيات والطب ونحو ، وأخرى علوم دينية كالحديث والتفسير ونحوه، وهذا ما عليه الفكر المعاصر والذي تبناه الرازي، ولكن حقيقة الأمر أن الدين لا ينفك عن الدنيا ولا عن العلوم القائمة على إعمال العقل، فجميعها خاوية بدون دين وجميع العلوم لا ترتفع إلى مستوى التطور السامي و المبارك والإنساني إلا بارتكاز وتعمق مبادئ الدين على الفرد الناجح في جميع المجالات، وورود ذلك في القرآن والسنة كثير حيث هلكت أمم ذات تحضر وقوة ضخمة بسبب فساد الدين، كما أن لا غنى للحياة عن العلوم العلمية فلا ازدهار بمجرد التمسك بالدين، فتهميشها يعتبر سوء فهم للدين لأن الدين لم يأمر بترك التطور العلمي[4].

ولو نظرنا إلى منبع فكرة قضية النقل والعقل لوجدناها أنها لم تأتِ من عقول المسلمين، بل أتت من الغرب، وخاصة العقل الإغريقي المنغمس في الفلسفات، فمن أقوال الفارابي أن العقل الفعّال لدى الإنسان يستطيع فهم بمساحة دائرة أوسع مما حوله، بخلاف بقية المخلوقات التي لا تخرج أفهامها عن دائرة ذواتها، وهذا يمثّل الفيض الإلهي والوحي الذي يهدي البشرية إلى معرفة الحق، ومن هنا تنكشف الفلسفة الباطلة مثل هذا المثال الفكري قد هدم أصل ومنبع الإسلام وهو الوحي، بتصييره تحت تمكّن

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (٢/ ٣٦٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل،ابن تيمية، (١٠/ ١٧).

(٣) الأم، محمد بن إدريس الشافعي، (٣/ ٥٩٦).

(٤) انظر: الوحي والعقل بحث في إشكالية تعارض العقل والنقل، لؤي صافي، (ص ٥٤).

الإنسان، وجعل مجرد العقل هو منبع الحقائق، وعليه يتبعه جميع الفكر الإغريقي والفلسفات الكلامية المنحرفة من باب أولى[1].

ومن مظاهر تعارض العقل مع النقل أن يتصدر عالم بتأويلات تفسيرية استناداً على القرآن ولكن بمنهجية تفكير غير سليمة، كأن يبني المعنى على بعض آيات القرآن دون الجمع الشامل لأدلة الكتاب والسنة والأدلة المعتبرة من قياس وإجماع ونحوها، أو ادعاء اعتمادها مشمولة للضعيف منها أو الشاذ من المنقول، وفي ذلك سيتم بناء تفسيرات باطلة بعيدة عن الحق لا محالة، ويكثر وقوع ذلك في الآيات المتشابه الذي هو ضد المحكم مثل أسماء الله وصفاته ونحوها[2].

(١) انظر: الوحي والعقل بحث في إشكالية تعارض العقل والنقل، لؤي صافي، (ص ٥٧).

((٢) انظر: الوحي والعقل بحث في إشكالية تعارض العقل والنقل، لؤي صافي، (ص٧٢ – ٧٥).

الخاتمة.

الحمد لله على التمام، وفي الختام نخلص إلى النتائج التالية:

١. فرق القرآن الكريم بين استعمال التفسير والتأويل هو أن التفسير متعلق بالواضحات، وأن التأويل متعلق بالمحتملات، وأن القرآن الكريم احتفى بإعمال العقل بالطريقة المنهجية، وحذّر من إهمال العقل أو اتباع الهوى بعشواء أو بظلم وجحود.

٢. مكانة العقل الرفيعة فالعقل يُعتمد عليه في تفسير القرآن وهو موجود في عهد الرسول ﷺ والصحابة – رضوان الله عليهم–.

٣. انقراض الخلاف في حكم التفسير بالرأي، وأن حكم التفسير العقلي المحمود المقيد بالشروط؛ مُجمع على جوازه، ومعمول به عند أئمة التفسير، وأن التفسير المخالف لشروط التفسير بالرأي؛ داخل في التفسير المذموم.

٤. أهمية التفسير بالرأي المحمود وأنه لا يمكن أن يتعارض مع التفسير بالمأثور، فتعارض العقل السليم مع النقل القطعي غير واقع.

٥. مكانة العلوم العقلية التي لا غنى عن العلوم الشرعية، بل هي مصدر سلامة العلوم وتطور الأمم وبركتها، وأن تهميش الدين لأجل العلم يعتبر سوء فهم للدين ومنهج الحياة الشرعي.

٦. مواكبة تأويلات أهل السنة لتجدد العلم المعاصر بالرغم من اتخاذ المنقول مصدر للتفسير، وذلك بربط القرآن وإثباته للاكتشافات العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

١. الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ

٢. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، مكتبة السنة، ط/٤.

٣. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، تح/رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء المنصورة،ط/١، عدد الأجزاء: ١١.

٤. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١،تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم،عدد الأجزاء: ٤.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس،محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)،تح/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦. التأويل البدعي عند مفسري المدرسة العقلية الحديثة دراسة نقدية، محمود نوفل،رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك– الأردن، ١٤٣٠هـ.

٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، ٣٠.

٨. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)،تح/ الدكتور عبد الله الخالدي،شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت،ط/١، ١٤١٦ هـ.

٩. تفسير السلف مصادره ومنهجه وحجيته، يحيى عبدالله احمد، رسالة دكتوراة، جامعة أم درمان، السودان، ١٤٢٠ هـ

١٠. التفسير العلمي المعاصر، سليمان صالح القرعاوي، ط/١، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥هـ .

١١. التفسير بالرأي مفهومه وحكمه وأنواعه، مساعد الطيار، البيان، المنتدى الإسلامي، ١٤١٤هـ

١٢. التفسير بالرأي، مساعد آل جعفر، مجلة الأدب، جامعة بغداد،١٣٩٢هـ.

١٣. التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط/٢، ١٤٢٧هـ.

١٤. التفسير والتأويل، صلاح الخالدي، دار النفائس ، الأردن، ط/١، ١٤١٦هـ.
١٥. التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، عدد الأجزاء: ٣.
١٦. الثقافة الإسلامية، علي بادحدح ومحمد باجابر، دار حافظ، جدة، ط/٢، ١٤٣١ هـ.
١٧. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط/١، ١٤٢٠ هـ ، عدد الأجزاء: ٢٤.
١٨. الجامع في علوم القرآن، حمد العثمان، مكتبة أهل الأثر، ط/١، ١٤٣٢هـ .
١٩. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تح/عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت،عدد الأجزاء:١٠، ١٤١٧هـ .
٢٠. دلالات النص القرآني عند المفسرين بالرأي دراسة تحليلية، جمزة حسن سليمان صالح، رسالة دكتوراة، جامعة أم درمان، ١٤٣١هـ.
٢١. طرائق السلف في التفسير أهميتها وخصائصها وأنواعها، جامعة القرآن وعلومه، عثمان المهدي، ١٤٣٤هـ
٢٢. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق،ط/١، ١٤١٤ هـ .
٢٣. فتح الباري، لابن رجب، تح/أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام – ١٤٢٢هـ،ط/٢ عدد الأجزاء / ٦.
٢٤. فهم السلف للقرآن في ضوء مستجدات العصر، محمد السواعدة، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٣٩هـ
٢٥. لباب التأويل في معاني التنزيل،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)،تح/ محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت،ط/١ ، ١٤١٥ هـ(٤/ ١٢٢).
٢٦. لسان العرب،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت،ط/٣ ، ١٤١٤ هـ،عدد الأجزاء: ١٥.

٢٧. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)،تح/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.

٢٨. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)،تح/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط/٥، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ١ .

٢٩. معجم مصطلحات علوم القرآن، محمد عبدالرحمن الشايع، دار التدمرية، إصدارات جمعية تبيان للقران وعلومه، ط/١ ،١٤٣٣.

٣٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تح/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ، عدد الأجزاء: ٦.

٣١. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط/٣،(٢/ ٣).

٣٢. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد - الرياض،ط/١، ١٤١٥ هـ.

٣٣. نفحات من علوم القرآن،محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ)،دار السلام - القاهرة، ط/٢، ١٤٢٦ هـ.

٣٤. الوحي والعقل بحث في إشكالية تعارض العقل والنقل، لؤي صافي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، العدد الحادي عشر، ١٤١٨هـ.

٣٥. وظائف العقل في القرآن، د.عبدالحكيم الأنيس، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، ط/١، ١٤٣٥هـ.